التضامن العربي وآفاق المستقبل

٧ من جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ الموافق ٢٧ من مـارس ٢٠١٥م

أولا : العناصر :-

١- الأمة العربية مهد الديانات السماوية بحضارتها السمحة.

٢- وحدة الصف العربي والإسلامي ضرورة حتمية.

٣- آفاق التعاون الاقتصادي والثقافي والفكري وأثره على الأمة العربية.

٤- التضامن العربي في مواجهة الإرهاب .

٥- أهمية تشكيل قوة ردع عربية مشتركة.

ثانيا : الأدلـــة :-

الأدلة من القرآن

١- قال تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣].

٢- وقال تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران: ١٠٥]

٣- وقـال تعـالى: { وَلا تَنَـازَعُوا فَتَفْشَـلُوا وَتَـذْهَبَ رِيحُكُـمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّـهَ مَـعَ الصَّـابِرِينَ } [الأنفال:٤٦].

٤-وقال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } [المائدة:٢].

٥-وقال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }[الحجرات:١٠].

٦-وقال تعالى:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء: ٩٢].

٧-وقال تعالى:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[الأنعام: ١٥٣] .

الأدلة من السنة

١- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » (رواه مسلم).

٢- وعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) (صحيح البخاري).

٣- وعن النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (صحيح البخاري).

٤- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال» (صحيح مسلم).

٥- عن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قال: قال رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (متفق عليه).

٦- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(رواه البخاري).

ثالثا الموضوع:

إن الإسلام دينٌ يقوم على المحبة والمودة والتراحم والتعاطف والتعاون والتضامن والتكاتف ليس بين أبنائه فقط ؛ بل يأمر بنشر هذه القيم والأخلاق في ربوع الأرض قاطبة ، والأصل في المسلمين التعاون والتعاضد في الأفراح والأتراح ، كما دعت جميع الشرائع السماوية الإنسان إلى التضامن مع أخيه ، وترسيخ مبدأ التكافل في المجْتمع الإنساني وذلك من أجل تحقيق السلام الاجتماعي ، يتضح هذا جليًّا فيما رواه مسلم في صحيحه بسنده عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ». وغير ذلك من الأحاديث التي دعت إلى بث روح التعاون والتضامن والتكافل بين المسلمين.

ولقد حبا الله تعالى العرب والمسلمين بهبات وفيرة ، من بينها أن الله اختار لهم موقعًا متميزًا من العالم ، حيث جعلهم في وسط الأرض والناس من حولهم كالكواكب حول الشمس. ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا}[الشورى: ٧].

إذا فالعرب بالنسبة لدول العالم قاطبة كالشمس التي لا يُستغنى عنها بأي حال من الأحوال ، فهم الطاقة التي تبعث النور والأمل إلى سائر الأقطار والأمصار ، ليحيا الناس في كل مكان حياةً طيبة بصحة وعافية.

كذلك فقد جعل الله – تعالى – أرض العرب مهد الديانات السماوية جميعها ، فعلى أرض العرب كانت رسالة نبي الله هود وصالح ونوح وإبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام) ، وحول القدس الشريف كانت رسالة بني إسرائيل ، وفي مصر كانت رسالة نبي الله إدريس وموسى (عليهما السلام) ، بالإضافة إلى سيدنا عيسى (عليه السلام) الذي بارك أرضها في رحلته المقدسة ، ثم كان ختام الرسالات برسالة سيد الوجود سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى : {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}[الشورى: ١٣]، وقال تعالى :{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}[المؤمنون: ٤٩،٥٠]، وقال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[الأحزاب:٤٠].

فلننظر كيف توالت نعم الله تعالى ومننه على أمة العرب والمسلمين ، حيث انبثقت عن هذه الديانات السماوية حضارات إنسانية خدمت العالم شرقا وغربا ، بل وامتدت مع الزمان والمكان إلى يومنا هذا ، وستظل ممتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كل هذا مفاده أن يدرك العرب مكانتهم بين الأمم ، تلك التي رشحتهم إلى دور القيادة والريادة للعالم أجمع ، وأن يكونوا على مستوى المسئولية فينشطوا مرة أخرى لهذا الدور من حيث التربية الأخلاقية والهداية الربانية ، إحياءً لمهام الرسالة الخاتمة في تزكية النفوس الشاردة، وعمارة الأرض بصالح الأعمال ، وتحقيق المعاني السامية للعبادة الحقة ، قال تعالى : {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

إن رباط العُروبة بالإسلام وَثِيقٌ ، وهذا الرباط وحده هو الذي يَجعل العرب أُمَّةً قائدةً رائدة ، فإذا ضعفت صِلَتُها به فسوف تتحوَّل حتْمًا مِن رأسٍ إلى ذَنَبٍ ، أو مِن أمة تَدفَع غيرَها نحو الخير والفضيلة إلى أمة يُدحرِجها الآخرون إلى الشَّرِّ والرذيلة.

ومن هنا فإن الاجتماع والاتحاد والائتلاف مطلب ضروري لا غنى عنه لأمة تريد الفلاح ، وقد جاء الشرع بالتأكيد على هذا الأصل ورعايته ، فيلزمنا أن نكون على قلب رجل واحد ، حيث جاءت آيات الكتاب العزيز تحث على الوحدة بين عموم المسلمين، قال الله سبحانه وتعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }[الحجرات:١٠]، وقال تعالى :{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: ١٠٣] ، وجاءت الأحاديث النبوية بهذا الأمر داعية إليه ومؤكدة عليه ، فعن عَبْد اللهِ بْن عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قال : قال رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (متفق عليه).

فأصول الدين تدعونا إلى الاجتماع تحت اسم واحد ، هو اسم الإسلام ، ومسمى المسلمين ، وهذه نصوص القرآن الكريم تنطق بذلك: { مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ} [الحج:٧٨] ، و في حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح ، عن الحارث الأشعري مرفوعاً: (تسموا بما سماكم الله به ، هو سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله).

كذلك دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الوحدة والتكاتف ، وبين فضلها ومكانتها عند الله– عز وجل – فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ» (سنن الترمذي) ، إنها جماعة المسلمين العامة التي ينطوي تحتها كل مسلم.

فالأمة التي يريدها الإسلام أمة واحدة، وإن تكونت من عروق وألوان وطبقات فقد صهرها الإسلام جميعا في بوتقته، وأذاب الفوارق بينها، وربطها بالعروة الوثقى لا انفصام لها، يقول تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢] ، ويقول سبحانه: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ } [المؤمنون: ٥٢] .

وكيف لا تكون هذه الأمة واحدة وقد وحد الله عقيدتها وشريعتها، ووحَّدَ غايتها ومنهاجها، كما قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام: ١٥٣] .

إنها أمة وهبها الله تعالى دعائم الوحدة ، فربها واحد هو الله تعالى، ونبيها واحد هو محمد (صلى الله عليه وسلم) وكتابها واحد هو القرآن، وقبلتها واحدة هي الكعبة البيت الحرام، وشريعتها واحدة هي شريعة الإسلام.

ولقد تكررت الوصية في السنة النبوية بالاجتماع ووحدة الصف، و النهي عن التفرق والاختلاف، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» (صحيح مسلم)، فهذا أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام.

ومن يتأمل واقع أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) يشهد على التزامهم بوحدة الصف واجتماع الكلمة ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: خطبنا عُمَرُ بالْجَابِيَةَ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : « احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يَشْهَدُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا ، وَيَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَحْلَفُوا، فَمَنْ أَحَبَّ الْجَنَّةَ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مِنَ الْوَاحِدِ قَرِيبٌ ، وَمِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، وَلاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ، وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ » (سنن النسائي) .

في حين نجد التحذير الإلهي من التفرق والاختلاف في جملة من الآيات ، يقول الله تعالى: { وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه } [آل عمران:١٠٥]، ويقول سبحانه - للمقاتلين في سبيله والمجاهدين لإعلاء كلمة دينه-: { وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال:٤٦].

ولهذا جاء في السنة النبوية من الأحاديث ما يؤكد ذلك ، فعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ) (صحيح البخاري).

ولقد كان لأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) اعتناء بالغ بهذا الأمر، وكان الخلاف في الرأي يحصل بينهم، ومع ذلك كانت النفوس صافية نقية.

إن التضامن العربي يشكل قاعدة أساسية للبناء من أجل الوصول إلى وحدة عربية منشودة ، وتبرز أهميته في المرحلة الراهنة حيث يتعرض العديد من أقطار أمتنا إلى صراعات عديدة ، ونهب ثرواتها وإفقادها لاستقلالها ، ولا يخفى علينا ما يحاك بالأمة العربية كلها من مؤامرة

كبرى تستهدف القضاء عليها ، ومن ثم فإن للتضامن والتعاون أثراً عظيماً ، في وحدة الأمة وتماسكها ، وفي توطيد العلاقات بين الأفراد والمجتمعات والدول ، وتعزيز الصداقة والسلام بين الشعوب ، والتخفيف من آثار الإرهاب الغاشم الظالم التي تواجهه ، والقدرة على مواجهة هذه التحديات التي تمر بها .

ومن هنا نؤكد على أن التضامن والتعاون العربي ضرورة وطنية بين الشعوب العربية ، لمواجهة التحديات وحماية الأمن القومي العربي والمصلحة العربية العامة، لا يحتمل أي تسويف أو تأخير على ضوء ما تشهده الأمة العربية .

وعن آفاق التعاون وسبل التواصل فقد ذكر لنا ربنا – عز وجل– في محكم تنزيله قاعدة عظيمة تحوي في طياتها أموراً لا يمكن حصرها ، فقال تعالى:{ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } [المائدة:٢] ، قال ابن كثير رحمه الله: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر ، وترك المنكرات ، وينهاهم عن التناصر على الباطل ، والتعاون على الإثم والعدوان وما حرم الله.

ولذلك لابد من العمل ، وأن يكون هذا العمل متكاملاً ، واليوم أمة الإسلام أقوى ما تكون إذا أخذت بهذا المبدأ العظيم ، أما إذا تراخت وتركت التعاون والتواصل والدعم فيما بينها فهي إلى الضعف أقرب ، ولله در القائل:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا .:. وإذا افترقن تكسرت آحادا

إن أمتنا العربية والإسلامية اليوم بحاجة إلى التضامن والتعاون والتكاتف ، ولو أمكن اجتماعها على الأسس الدينية والإيمانية ، ومعها أسبابها وقوتها المادية والدنيوية واستخدمت ما منحها الله -عز وجل – من ثروةٍ وغنى وقدرة بشرية وتقدم علمي ، فلن يقف في وجهها أمم الأرض كلها ، فأمة الإسلام ، تحوي الثروة العظمى والقوة العظمى بالإيمان والإسلام ، والمبادئ والشرائع والآداب والأخلاق ، بالثروة والأعداد والقدرات والطاقات ، لو أنها اجتمعت وتكاملت وكان بينها تناسق وتنوع لانتصرت .

وحينما ننظر فيما حولنا نجد: أن أمماً لا تجمعها عقيدة واحدة ولا لغة واحدة ، كالدول الأوروبية يتسع اتحادها لتشمل ثمانية وعشرين بلداً ، كل منها أو كثير منها له لغة وله ديانة وله نظم سابقة كثيرة ، لكنها تجتمع وتأتلف لأنها ترى أن مصدر قوتها في مثل هذا التعاون والتآلف والتكاتف ، فيأخذون حينئذ ثقلاً .

ونحن أمة الإسلام أمة مع تعداد أبنائها ، وانتشارها في ربوع الأرض شرقاً وغرباً ، وتملكها معظم ثروات الدنيا ، ومع ذلك نجد الفرقة والخلاف بينها .

إن التعاون طريق إلى البناء والنجاح ، ونظرة يلقيها المرء على خلق الله تؤكد هذا الأمر، أمة النحل أمة عجيبة ، طائفة من أمة النحل تبني البيوت ، وطائفة تنظفها ، وطائفة تحرسها وتحميها ، وطائفة تدل على مواضع الأزهار ، وطائفة تمتص الرحيق لتأتي به ، وتخرج العسل اللذيذ ، قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وِلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأنعام:٣٨]. فأنعم بها من أمم جعلت سبيل التعاون لها مسلكاً ، وصدق القائلُ:

والنمل تبني قُراها من تماسكها .:. والنحلُ يجني رحيقَ الشهدِ أعوانًا

ومن ثمَّ أصبحت الوحدة العربية والتضامن العربي ضرورة حتمية لها أهميتها في حماية مصالحها وأنظمتها السياسية ، ومواجهة أطماع المستعمرين ومؤامرات الغزاة لإضعاف الأمة العربية وتفتيتها ليسهل لهم السيطرة عليها.

إن من أهداف الإسلام العظيمة وقيمه السمحة تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، وإن كافة العقلاء في أُمتنا يتفقون أن الأمة العربية والإسلامية في هذا العصر تمر بمرحلة عصيبة وقلقة ، وأن الأخطارَ تُحدقُ بها من كل ناحيةٍ، ولذا فإن ما به جِماع كلمة المسلمين أصلٌ لا بد للأمة أن تلتف حوله وأن تعتصم به، وأن تَعَضَّ عليه بالنواجذ ، فإن الله تعالى يقول: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ) [آل عمران: ١٠٣].

وإن من أهم الأسباب التي تفرق بين أبناء الأمة وجود بعض الغلاة المتنطعين الذين يكفّرون الناس بغير حق أو يضللونهم بمجرد مخالفتهم أهواءهم ورغباتهم.

وقد ابتليت الأمة الإسلامية في هذا العصر بأناسٍ جعلوا همهم الأول وشغلهم الشاغل تفريق كلمة الناس، وتمزيق أوصال الأمة، ونبش خلافاتها ، وتحريف تاريخها، وتشويه سيرةِ رموزها، ويجهرون بتكفير الناس ، ثم بعد ذلك كله يتساءلون عن مصير الوحدة الإسلامية والتقارب المذهبي.

ولما كان الإرهاب يأتي للأمة من جهات داخلية وخارجية وجب عليها أن تبذل جهدها في مكافحته ومدافعته وذلك بإعداد العدة اللازمة لحماية المجتمع منه ، لئلا يكون لأصحاب القلوب المريضة فرصة للإرجاف والتخويف ، وبإعداد العدة الحربية والعسكرية المادية والبشرية لتبقى بلاد الإسلام في حصن من أعدائها ، ولتبقى الأمة في مأمن من الزعزعة وعدم الاستقرار .

ولذلك فإن دين الإسلام قد دعا إلى الوقوف في وجه المفسدين ، وكذلك صد عدوان المعتدين ، وتبين ذلك جلياً فيما ضربه لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) من مثل أهل السفينة، فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا

فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا) (صحيح البخاري) .

كل ذلك يفرض علينا ضرورة تشكيل قوة ردعٍ عربية مشتركة من أجل الدفاع عن الأمة العربية والحفاظ على كرامتها وعزتها واستقلالها .

إن الأمة العربية عندما تتحد كلمتها تشكل رقمً صعبًا لا يمكن تجاوزه في المحافل الدولية أو التكتلات الاقتصادية أو الحروب الإعلامية والغزو الفكري والثقافي.

نسأل الله العظيم أن يعلي شأن الأمة العربية والإسلامية ، وأن يوحد صفَّها ، وأن يجمع كلمتها على ما فيه خير البلاد والعباد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم